وقف مركز مكة العالمي للهداية القرآنية
هدى للناس
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

تدارس القرآن الكريم مع غير الناطقين بالعربية
معالم وضوابط لمنهج تربوي عالمي فريد

اسم الباحث/ـة

د/ مهدي رامز تركاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل علينا كتابَه الذي له القدرة التامة على تقويم سلوكنا إن أخذناه بقوة. والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على رسولنا الكريم ومبلغ الرسالة الخاتمة، المنير لطريق الاهتداء بالقرآن قولا ومقاما في جميع أحواله صلى الله عليه وسلم. أما بعد:

فالقرآن الكريم رسالة ائتمننا الله عليها لنتدبر ما فيها ونتحرك بها للعمران الإنساني والسلطاني. رسالة الله التي اؤتمنا لحملها بجد لنحولها إلى منهج لإصلاح ذواتنا ومجتمعاتنا. يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩]. آية تتجلى فيها رأفة المولى ورحمته بنا وغاية القرآن لبعثة تنويرية عبر بعثة الرسول الرؤوف الرحيم ذو الخلق العظيم، القائل صلى الله عليه وسلم: «تركتُ فيكم أَمْرَيْنِ لن تَضِلُّوا ما تَمَسَّكْتُمْ بهما: كتابَ اللهِ وسُنَّةَ نبيِّهِ»[1].

وقد عمل على الاعتصام بهما السلف الصالح مذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. وكان من بقية السلف الصالح -فيما نحسب- المصلح القرآني فريد الأنصاري (١٩٦٠-٢٠٠٩م)، تلميذ الدكتور الشاهد البوشيخي (مواليد سنة ١٩٤٥م)، والذي فارق الدنيا منذ خمس عشرة سنة، إلا أنه لا يزال حياً موقظا للهمم بما ترك من مؤلفات ورجال رباهم، حيث اهتم في العشرية الأخيرة من حياته بمشروع الإصلاح من القرآن إلى العمران وكثف كل ما أوتيه من قوة لتحقيق ذلك. ومن سار على نَهْجَهما أفراداً ومؤسسات من أمثال مصطفى فوضيل (مواليد سنة ١٩٦٢م) المدير التنفيذي لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية وحسن بوكبير (مواليد سنة ١٩٦٣م) مسؤول مؤسسة فريد الأنصاري

[1] رواه مالك في الموطأ، برواية يحيى، الحديث الثالث من باب النهي عن القول بالقدر.

للأبحاث والدراسات[1].

وقد سعَت تلك المدرسة، صاحبة المشروع الحضاري من القرآن إلى العمران، اعتمادا إلى أن المولى سبحانه لم يفرّط في الكتاب من شيء، إلى ببان أن من أهم ما فصّله الكتاب العزيز هو منهجية استقبال الوحي في حياتنا وتلقي الرسالة الخاتمة. فالذي يسأل عن «كيفية التعامل مع الكتاب العزيز»، يأتيه الجواب في الوحي ذاته. وفي القرآن أربع آيات –ثنتان منها في البقرة، وواحدة في آل عمران وأخرى في الجمُعة– تعرض مهمات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مع بيان خطوات التعامل مع القرآن الكريم «تلاوة» و «تعلّماً وتعليماً» و «تزكية».

وهذه المهمات التي تحملها وأداها نبينا صلى الله عليه وسلم على أكمل وجه هي مهمتنا نحن كحاملي الرسالة وكرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خلفاؤه، جعلنا الله من الخلف الصالح ومن حاملي الرسالة إلى العالمين، آمين.

محتوى البحث وأهدافه:

سيتم عرض الخطوات المذكورة كما فسّرها فريد الأنصاري، مع الاهتمام ببيان منهج التربية في مجالس القرآن للشعوب غير العربية، ومع عرض نتائج تطبيق تلك المنهجية على مجموعة من الناطقين بالفرنسية في مدارسات لسورة الفاتحة، وتحليل تلك النتائج. فمنهجية البحث تحليلية من ناحية وإجرائية تطبيقية من ناحية أخرى.

وقد احتوى البحث على فصلين، لكل منهما ثلاثة مباحث:

الفصل الأول: عرض منهجية تدارس القرآن (الجانب النظري).

المبحث الأول: من هو فريد الأنصاري؟

---

[1] إنْ سلطنا الضوء في هذا البحث على مدرسة فريد الأنصاري رحمه الله وشيخه الشاهد البوشيخي حفظه الله، بالمغرب العربي، فلا ننسى كل من عمل على الوتيرة نفسها في عصرنا من الرجوع إلى القرآن الكريم للتربية والإصلاح، أفرادا ومؤسسات، عليهم من الله الرحمة والرضوان.

المبحث الثاني: ما هي منهجية تدارس القرآن الكريم؟

المبحث الثالث: كيف تفعّل المنهجية ضمن الشعوب غير العربية؟

الفصل الثاني: تطبيق المنهجية على غير الناطقين بالعربية في مجالس لتدارس سورة الفاتحة باللغة الفرنسية (الجانب التطبيقي).

المبحث الأول: ما الذي تم تطبيقه؟

المبحث الثاني: عرض نتائج تدارس سورة الفاتحة بالفرنسية من خلال مقابلة خمسة جلساء.

المبحث الثالث: تحليل أهم نتائج التدارس.

الفصل الأول: عرض منهجية تدارس القرآن (الجانب النظري)

١.١ نبذة عن المرحوم فريد الأنصاري:

أبو أيوب فريد بن حسن بن محمد الأنصاري الخزرجي[١]رحمه الله، الرجل القرآني وصاحب المشروع الحضاري (١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م – ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م). وقد ورّث مؤلفات علمية أكاديمية، وأعمالاً أدبية إبداعية، ودعوية نقدية وقرآنية حضارية[٢]، ومحاضرات ودروس عديدة، مرئية ومسموعة[٣]. عرف بتواضعه ودثامة خلقه وتواده وعبادته[٤].في العُشرية الأخيرة من حياته، وبعد أن ناقش الدكتوراة[٥]،

---

(١) حيث يرجع نسبه إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه، كما ذكر شقيقه عبد الحميد الأنصاري، في مقاله في جريدة المحجة، العدد ٣٣٠-٣٣١، بعنوان: «أبو أيوب الأنصاري في رحلة العمر».

(٢) ينظر: أعمال الندوة العلمية فقه الإصلاح قراءة في التجربة الإصلاحية للعلامة فريد الأَنصاري، مقال عبد العزيز الإدريسي، ص٣٠٧-٣١٣. وينظر: جهود الدكتور فريد الأنصاري في تجديد الفكر الاسلامي المعاصر، سعد عي، ص١٥٦-١٦٣، حيث جمع ثمانية وعشرين كتابا. وجمعها كذلك رشيد سلاوي، جريدة المحجة، العدد ٣٣٠-٣٣١، ص٢٤. علما بأن نصف تآليفه ظهرت في عامه الذي توفي فيه. وترجمت عدد من كتبه، خالد الزرهوني في ترجمة كتب العلامة الأنصاري رحمه الله، الواقع والآفاق، من أعمال الندوة العلمية، ص٤٥٣.

(٣) حيث بلغت دروسه ومحاضراته المرئية مئة وثلاثون قرصا (تسجيلات أبو هاجر)، والمسموعة منها تربو عن مئتان وتسعة عشر تسجيلا تشتمل على تفسيرٍ للقرآن (بصائر القرآن الكريم، ٨٠ درسا) وسلسلة تربوية (منازل الإيمان، ٦٠ درساً). ينظر: جهود الدكتور فريد الأنصاري في تجديد الفكر الاسلامي المعاصر، سعد عي، ص١٥٥.

(٤) يقرأ مثلا قسم الشهادات التي أثبتت في أعمال الندوة العلمية «فقه الإصلاح، قراءة في التجربة الإصلاحية للعلامة فريد الأَنصاري».

(٥) وقد تخصص في المصطلح الأصولي عند الشاطبي، وشهد له الشاهد البوشيخي في تقديمه لأطروحة الدكتوراة يوم مناقشتها (١٤٢٠/١/٤هـ – ١٩٩٩/٤/٢٠م): «أما ابني البار فريد فهو كاسمه فريد. وقد قلت له هذا غير مجامل في أول عمل علمي قدمه، وأقوله له اليوم بتوكيد أكثر، لأن هذا العمل الثاني أعمق وأدق، وأكثر عطاء، وأبعد أثرا إن شاء الله تعالى! (...) ثم إن فريدا الفريد لم يكد يخلق إلا للعلم والبحث العلمي، في حدود عشرتي له. ولذلك فإني أهنئه من سويداء القلب، وأدعو له بمزيد من التوفيق، وأحثه على السير في هذا المجال بنفس الجهد، وبنفس العناية، وبالحرص الشديد الذي كان له قبل انجاز هذه الرسالة. عليه أن يحول حياته إلى رسالة! ليمكن الوصول إلى المقصود، وليمكن تذييل عقبة البحث العلمي، والسير الجاد، وتعبيد

تفرغ كلية لمشروعه القرآني الحضاري، تحلقا وتخلقاً وتحققا، إلى أن توفاه الله[1].

فقد تحدث فريد الأنصاري عن انفتاحه على طور الإبصار القرآني، بدأت بتأليف «بلاغ الرسالة القرآنية» (الصادر سنة ٢٠٠٢م) وانتهت بـ«الفطرية» (المؤلَّف الذي انتهى منه قبل وفاته بأشهر). يقول عن نفسه: «ولقد تهت زمناً طويلاً في طريق البحث عن الحق في الشأن الدعوي على العموم، حتى منّ الله بالهُدى،

ولقد وجدت الهُدى كل الهدى في كتاب الله»[2]. وعاهد الله كتابة ألا يؤلف خارج ذلك الإطار[3]، وكان من بين ما ألفه «مجالس القرآن»، وصلت إلى

الطريق للاستئناف العلمي. فإنما هذه محطة فقط. والآن وقد بلغ أشده وبلغ أربعين سنة، بدأ إرساله في مجال العلم. وأخيرا الحمد لله الذي أخرج من صلبي العلمي -وسيخرج إن شاء الله عز وجل- من هو خير مني»، المصطلح الأصولي عند الشاطبي، الأنصاري، ص٧-٨. وينظر مرثيته المثبتة في جريدة المحجة، العدد ٣٣٠-٣٣١. وكان لصحبة شيخه المربي ومشرفه على الدكتوراة الشاهد البوشيخي آثاراً كبيرة عليه، وظل فريد الأنصاري يذكر فضله عليه ويعترف له بالأسبقية. ومما قال معرفاً به: «أستاذنا وأستاذ الأجيال الدكتور الشاهد البوشيخي، رائد المدرسة القرآنية بالمغرب تعليماً ودعوةً»، مجالس القرآن، الأنصاري، ص١٤ وص١٠٣. وينظر: أبجديات البحث في العلوم الشرعية، الأنصاري، ص١١-١٢. وذكر في هامشٍ من كتابه بلاغ الرسالة القرآنية كيف أن أستاذه أثر في بلورة اليقظة القرآنية: «لابد من الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم؛ فقد كان لأستاذي العالم المربي، الدكتور الشاهد البوشيخي حفظه الله وسلمه الأثر الأول في إثارة انتباهي إلى الأسرار الدعوية للقرآن العظيم، وما ينطوي عليه من كنوز، ومفاتيح لكثير مما يختلف فيه الناس اليوم من قضايا تجديد الدين، وذلك من خلال ما تلقيناه عنه من دروس علمية وتربوية، في وقت كان الالتفات إلى هذا نادراً، فله من الله الجزاء الأوفى على ما علّم وربى.» بلاغ الرسالة القرآنية، الأنصاري، ص٢٠. وقد بين من عاصرهما أنهما -البوشيخي والأنصاري- كوجهي العملة الواحدة، لا يذكر أحدهما إلا ويذكر الآخر تباعاً. ينظر: مقال معالم التجديد المنهاجي في الرؤية الإصلاحية عند العلامة الدكتور فريد الأنصاري، عبد العزيز الإدريسي، ضمن أعمال الندوة فقه الإصلاح قراءة في التجربة الإصلاحية للعلامة فريد الأنصاري رحمه الله تعالى، ص٣١٥.

(١) وننوه أن آخر محاضرة له كانت بعنوان «الوحي حقيقته ووظيفته». ينظر: جريدة المحجة، العدد ٣٣٠-٣٣١، ص٥٢-٥٤.

ثلاث مجلدات[1]. أثر على قطره المغرب وخارجه، واجتمع له الناس، عامتهم وخواصهم، واحتفى به الناس وعقدت ندوات عنه، من بينها «الندوة العلمية الدولية بمناسبة الذكرى العاشرة لوفاة العلامة فريد الأنصاري رحمه الله تعالى»، في ١٣-١٤ يونيو ٢٠٢٠م.

١.٢ مجالس القرآن، تأصيلها وأهدافها ومآلاتها:

منهجية تدارس القرآن تتميّز بالبساطة وسهولة الفهم. فهي مكونة من ثلاثة مراحل: التلاوة والفهم ثم التطبيق. سهلة الفهم وميسورة التفعيل بالضوابط والمفاهيم الآتية، كما بينها فريد الأنصاري في العديد من كتبه ومقالاته، لاسيما في دليله المرشد في الجزء الأول من كتاب «مجالس القرآن مدارسات في رسالات الهدى المنهاجي للقرآن الكريم من التلقي إلى البلاغ»، في القسم الأول منه، المعنون «مدخل إلى مجالس القرآن».

المنهج الأتم للتعامل مع القرآن الكريم من القرآن الكريم:

---

(٢) مجالس القرآن، الأنصاري، ٩٨/١. وينظر: بلاغ الرسالة القرآنية، الأنصاري، ص١٠-١٢ حيث بيَّن أن رحلة الحج لعام ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م كانت فرصة لإعادة النظر في المجال الدعوي والإصلاحي وفتح الله بصيرته -كما يقول رحمة الله عليه- «على تولية الوجهة إلى النظر في القرآن، تعلما وتعليما، ومدارسة، وتدبراً».

(٣) ينظر: المحجة، العدد ٣٣٠-٣٣١، يناير ٢٠١٠م، ص٥٥. حيث قامت مجلة المحجة بإعداد عدد خاص بالدكتور فريد الأنصاري، وسطرت فيه آخر حوار له، أجري قبل وفاته بستة أشهر -أبريل ٢٠٠٩م، قبل ذهابه الأخير إلى تركيا- وذكر فيه: «في الآونة الأخيرة، وبعد استخارة قررت أن أتفرغ لكتاب الله عز وجل».

(١) وكان آخر ما كتب في آية ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ينظر: مجالس القرآن، الأنصاري، ٧٤١/٣. وكان رحمه الله يكتب وهو على فراش المرض. وزاره البوشيخي يوما فسأله عن أحواله وأجابه: أنهيت تفسير سورة البقرة. فتعجب وسأل: من يكتب «العلماء المرضى»؟ وقد توفاه الله تبارك وتعالى ليلة الجمعة ٦ نوفمبر ٢٠٠٩م، بعد معاناة مع المرض دامت عدة سنوات، في مستشفى سما باستنبول. يقول شقيقه عبد الحميد: ومن الموافقات الجميلة أن يتحقق له رحمه الله، «ما تيمن به في تكنيه بأبي أيوب الأنصاري، فتوفاه الله بالأرض التي استشهد بها أبو أيوب الأنصاري!» ينظر مقاله: أبو أيوب الأنصاري في رحلة العمر. وعزّاه العلماء والمؤسسات في شتى البقاع، رحمه الله وأجزل ثوابه.

لم يدع لنا الرب سبحانه وتعالى شيئا إلا وبيّنه في كتابه ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]. ومن أهم ما سلمنا الله تعالى إياه مفاتيح الانتفاع بالقرآن، وكيفية حمل الرسالة في أنفسنا وبين العالمين. هاته المفاتيح تكمن في أربع آيات أوضحت وظائف النبوة الثلاث ومنهجية التدارس:

-﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩].

-﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٥١].

-﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

-﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلأُمِّيِّۦنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢].

«مجالس القرآن» ووظائف النبوة الثلاث:

الخطوات المنهجية الثلاث لتدارس القرآن، أخذاً من الآيات المذكورة، هي:

١- التلاوة بمنهجية التلقي.

٢- تعليم الكتاب والحكمة بمنهجية التدارس.

٣- التزكية بمنهج التدبر.

فنجد مصطلح «التلقي» مصطلحاً مفتاحاً في مجالس القرآن، به تتحقق التلاوة، ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة:١٢١]، ومعناه «استقبال القلب للوحي»[1]. وبيّن الأنصاري أن استقبالنا

[1] مجالس القرآن، الأنصاري، ص٦٦. الفطرية، الأنصاري، ص١٠٧.

للوحي يكون على سبيل الذكر، بحيث نتعامل مع الآيات في مقام الشهودية، وكأنما نشاهد تنزّلها الآن على أنفسنا وبمخاطبتنا بشخوصنا.

والتلقي مصطلح قرآني نجده في عدة مواضع (النمل:٦، والقصص:٨٦، المزمل:٥).

أما «التدبر» فهو «النظر إلى دُبُر الشيء، أي التأمل في دوابر الأمور المتوقعة، بمعنى النظر إلى عاقبتها، وما يمكن أن تؤول إليه! كما يدخل فيه النظر في دوابر الأمور الواقعة من قبل، لمعرفة أسبابها ومقدماتها! وهذا لا يوجد في كتب التفسير إلا نادراً، لأنه -في الغالب- عمل قلبي شخصي، ونظر نفسي لا ينوبُ فيه أحد عن أحد!»[١]. وفرق بين «التدارس» و«التدبر» حيث إن التدارس عملية جماعية، يتفاعل معها جميع الجلساء[٢]. كأن أصحاب المجلس يجيبون عن سؤال مفاده: تكون لدينا فهم للنص القرآني بالرجوع إلى العلماء، والآن ما المطلوب منا تحقيقه؟ كل في خاصية نفسه، حسب ظروفه وقدراته، في مجتمعه وعصره. بحيث «تقرأ سيرتك في ضوئها، باعتبارها مقياساً لوزن نفسك وتقويمها، وتعالج أدوائك بدوائها، وتستشفي بوصفاتها»[٣].

وننوه أن الخطوات الثلاث، وإن عرضت كل منها على حدة، إلا أنها في الحقيقة متفاعلة متكاملة، كل واحدة تخدم الأخرى.

---

(١) هذه رسالات القرآن، الأنصاري، ص٦٩. وبين فيه أن المجالس لا تتضمن التفسير، بل التدبر. وحقيقتهما مختلفة -وإن استخدم لفظ أحدهما مكان الآخر-. وينظر: بلاغ الرسالة القرآنية، الأنصاري، ص١٥٧-١٦٠، حيث أفرد الأنصاري التدبرَ كمرحلة خاتمة، بعد التلاوة والتعلم والتدارس. فأكد على أنها النتيجة والغاية. وكتابه هذا ألف قبل أن يضع الخطوات العملية في كتابته المخصصة للموضوع "مدخل إلى مجالس القرآن".

(٢) وقد ذكر مصطفى فوضيل - المدير التنفيذي لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية، مبدع- في تفعيل مؤتمر العالمي الخامس للباحثين في القرآن الكريم وعلومه في موضوع: نحو رشد منهجي في تدارس القرآن الكريم أن البحوث التي وصلت إليهم كان كلها أو جلها خارج المبتغى والمعنى الدقيق للتدارس (في لقائي معه في مؤسسة مبدع).

(٣) بلاغ الرسالة القرآنية، الأنصاري، ص٤٣.

وأيضاً، فإن عرض التزكية مباشرة قبل التعليم لوضعها في قلب الاهتمام للتالي والمتعلم، إذ هي الغاية.[١]

مصطلحي التدارس، والمجالس من قاموس النبوة الشريف:

تميز فريد الأنصاري بحرصه على المصطلحات والتحقيق في التعريفات[٢].

(١) وننوه زيادة على ما ذكر إلى أن من الآيات الكريمة ما يمكن إلحاقه إلى منهجية التعامل الأتم مع القران الكريم، مثل الآيات التي تبين نزول القرآن منجما حتى نتدبره آيةً آيةً ويثبت به قلوبنا (١٠٦/١٧، ٣٢/٢٥)، والآيات التي تدعونا إلى التلاوة الحقة (١٢١/٢، ٤/٧٣)، والآيات التي تدعو إلى الإنصات والاستماع والتخشع والبكاء (٢٠٤/٧، ٢/٨، ٢٩/٤٦، ١٦/٥٧...)، والربانية والتدرج في تعلم وتعليم ودراسة الكتاب (٧٩/٣)، وأن القرآن محمل ثقيل ميسر في نفس الوقت (١٧/٥٤ ، ٢٢، ٣٢، ٤٠، ٥/٧٣)، والأمر بالتدبر (٨٢/٤، ٢٤/٤٧، ٢٩/٣٨)، والأمر بتبليغ رسالات الله (٣٩/٣٣).

(٢) يتبين ذلك في اشتغاله في بحث الدكتوراة حول المصطلح الأصولي عند الشاطبي. وفي كتاباته، مثل: التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، الفصل الأول في تحديد المصطلحات التي عليها مدار البحث. ومثل: مفاتح النور، نحو معجم شامل للمصطلحات المفتاحية لكليات رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي. وينظر: معالم التجديد المنهاجي، عبد العزيز الإدريسي، ص٣٢٢-٣٢٣ (ضمن الندوة العلمية في فقه الإصلاح، قراءة في التجربة الإصلاحية للعلامة فريد الأَنصاري) حيث ذكر أن شعار الأنصاري: المشاحة كل المشاحة في المصطلح.

ومن بين المصطلحات التي اهتم بها فريد الأنصاري والتي لها صدى بما نحن فيه مصطلحي «التدارس» و«مجالس القرآن»[1].

فأما مصطلح التدارس فمن السنة بجانبيها القولي والفعلي.

أما من السنة القولية، فقوله صلى الله عليه وسلم: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، **ويتدارسونه** بينهم، إلا نزلت عليم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[2].

وأما من السنة الفعلية: التأصل لتدارس القرآن من بداية البعثة المحمدية في دار الأرقم وترتيب التدارس، حيث نقل عدد من الأئمة، منهم المحدث عبد الحي الكتاني رحمه الله، أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مجالس علمية درّس

---

(١) نذكر هنا بعض المصطلحات المتعلقة بالبحث. مصطلح «الفطرية» أولاً كمدرسة ومنهاج، يعرفه فريد الأنصاري على أنه «إقامة الوجه للدين حنيفا، خالصاً لله. وذلك بمكابدة القرآن ومجاهدة النفس به تلقيا وبلاغاً، قصد إخراجها من تشوهات الهوى إلى هدى الدين القيّم، ومن ظلمات الضلال إلى نور العلم بالله» (الفطرية، ص١٠٥. ونبَّه المقرئ الإدريسي أن المصطلح من الشاهد البوشيخي، وقد استأذن فريد الأنصاري في تطويرها في كتاب خاص وأذن له. ينظر: العلامة فريد الأنصاري، الرجل والمشروع، المقرئ الإدريسي، ص٢٢٦). وبين الأنصاري أن مجالس القرآن إنما يمثل الركن المكين لذلك المنهاج الفطري (الفطرية، ص١١٣).

يليه مصطلح «العلمية»، وتكوين العالم الشرعي. وألف فيه «مفهوم العالِمية من الكتاب إلى الربانية» وبين أن المصلح القرآني لا بد أن يكون قد تضلع من علوم الدين والدنيا (نصوص الوحي، العلوم الشرعية، فقه اللسان العربي وفقه الواقع). وعرفها على أنها: مرتبة الإمامة في مجاهدة النفس بالقرآن على الالتزام بحقائقه الإيمانية والتخلق بحكمته الرحمانية، إخلاصا لله أولا حتى تفنى في دعوتها عن كل حظوظها فلا يقوم شيء منها إلا لله وبه! ثم شهادة بذلك على الناس تربية ودعوة ثم صبراً واحتساباً.

ويأتي ثالثاً مصطلح «التداول الاجتماعي للقرآن» أو «تداولية قرآنية» (الفطرية، ص١٥٠، هذه رسالات القرآن، ص١٧، مفهوم العالمية، ص٩٠)، يدعو به إلى توسيع نطاق التدارس، حيث يقصد به الاشتغال العام بالقرآن الكريم، بحيث يطغى على كل شيء سواه إلى أن يفشو بين سائر فئات المجتمع ويقوم بتلقائية لبثّ قيم القرآن وأخلاقه بينهم. فيصبح القرآن محرك الإصلاح الشعبي العام. ويكون أصل الدعوة إلى الله (البيان الدعوي، ص١٩١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه.

وفسّر فيها جميع القرآن الكريم[١]، وكان جبريل عليه السلام يدارسه القرآن في شهر القرآن[٢]. وسرى ذلك التطبيق في جيل الصحابة فنجد لهم مجالس قرآنية متكاملة، مع التلاوة والتعلم والتزكية. فنجد نخبة «القرّاء» الذين كانوا يتدارسون القرآن باليل يتعلّمونه[٣]،

ونجد أول السفراء إلى يثرب المدينة المنورة يقرؤون القرآن[٤]، علماً بأن قراءتهم كانت «حفظاً ومدارسة، للتكوين والتربية والتفقه»[٥].

---

(١) ينظر: التراتيب الإدارية، عبد الحي الكتاني، /١٥١-١٥٢ و ١٥٤/٢. ونذكر نصان للاستشهاد. أولاهما: «وقد عقد الإمام اليوسي فصلاً في قانونه ذكر فيه أصول طرق نشر العلم، فقال: أما التعليم بصورة التدريس فأصله ما كان صلى الله عليه وسلم يفعله في مجالسه مع أصحابه، من تبيين الأحكام والحكم والحقائق، وتفسير الآيات القرآنية، وذكر فضائلها وخواصها، وغير ذلك. وهم في ذلك مجتمعون عليه، فهذا تقرير وتبيين. قال تعالى: ﴿لتبين للناس ما نُزِّلَ إليهم﴾ [النحل: ٤٤] وهذه حلقة العلم، ولم تزل حلق العلم على العلماء كذلك، وهلم جرا اه منه.» وثانيهما: «فانظر أصل التدريس وتعاطي علوم القرآن، فإنه قديم. وقد ذكر السيوطي في الإتقان أنه عليه السلام بيّن لأصحابه جميع تفسير القرآن أو غالبه. ويؤيد هذا ما أخرجه أحمد وابن ماجه عن عمر قال: من آخر ما نزل آية الربا وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض قبل أن يفسرها. فدلّ فَحوى الكلام على أنه كان عليه السلام يفسر لهم كل ما نزل، وأنه إنما لم يفسر لهم هذه الآية لسرعة موته بعد نزولها وإلا لم يكن لتخصيصها وجه.»

(٢) روى البخاري في صحيحه (٣٢٢٠) : « كانَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أجْوَدَ النَّاسِ، وكانَ أجوَدُ ما يَكونُ في رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وكانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ في كُلِّ لَيْلَةٍ مِن رَمَضَانَ، فيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أجْوَدُ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ.» والحديث متفق عليه.

(٣) ورد في البخاري ومسلم، عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «(...) فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار، يقال لهم القراء، فيهم خالي حرام، **يقرؤون** القرآن، **ويتدارسونه** بالليل، **يتعلمون**». والحديث يتضمن المراحل الثلاث لمجالس القرآن.

(٤) روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه: «أول من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يقرئاننا القرآن».

(٥) التوحيد والوساطة، الأنصاري، ص٦٥.

ونجد أبا موسى الأشعري رضي الله عنه في العراق يعقد حلقاً لتدريس القرآن العظيم والتي خرّجت ما يقرب من ٣٠٠ ممن قرؤوا القرآن[١]، وكذا فعل أبو الدرداء في الشام.

وأما مصطلح المجالس فمن حديث الملائكة السياحين الملتمسين «مجالس الذكر» و «مجلساً فيه ذكر» (الحديث متفق عليه، واللفظان لمسلم).

وخير الذكر كلام الله فكان مصطلح «مجالس القرآن». وفي الحديث تذكير الجليس بأنه في حضرة الملائكة، وأن المولى تبارك وتعالى أشهد ملائكته بأنه غفر لهذا الجمع الطيب، للجلساء المتحلقين على مأدبته. وختم الحديث بذكر قول الله تعالى فيهم: «هم الجلساء لا يشقى جليسهم».

من النظرية إلى التطبيق: التعريف والتخطيط:

يعرف فريد الأنصاري مجالس القرآن على أنها «مجالس تربوية لتلقي آيات القرآن والتخلق بأخلاقها وبحقائقها الإيمانية، والتحقق بها، تعلماً وتعليماً، وتدبراً ومدارسةً»[٢].

ويقول في موضع آخر منهجية التدارس تعرّف على أنها «مدرسة شعبية لنشر ثقافة القرآن وبناء أخلاق القرآن، ودعوة تداول القرآن في السلوك الفردي والاجتماعي، من خلال الإقبال العام الشعبي على تعلم القرآن وتدارس القرآن (...)

مشروع دعوي تربوي بسيط، سهل التنفيذ والتطبيق، سلس الانتشار، غايته تجديد الدين، وإعادة بناء مفاهيمه في النفس وفي المجتمع»[٣].

وعند عرض المادة تحلقاً أو كتابة يتبع فريد الأنصاري الخطوات التالية.

---

[١] الفطرية، الأنصاري، ص١٥١-١٥٢، نقلا عن حلية الأولياء.

[٢] الفطرية، الأنصاري، ص١١٦.

[٣] مجالس القرآن، الأنصاري، ١/٥٠.

المنهجية أو الخطوات المتبعة في تدارس القرآن[1]

عند عرض المادة تحلقاً أو كتابة يتبع فريد الأنصاري الخطوات التالية:

١- التقديم العام والكلي للسورة التي يتم تدارسها، بحيث يعرف بمقاصدها وشخصيتها.

٢- تقسيم السورة إلى مجموعة مجالس، في كل منها آيات محددة. كما كان ينزل القرآن منجماً ليتسع للمستفيد التخلق والتحقق بالآيات. وتسمى كل مجموعة بـ«كلمات الابتلاء»،

ويتم تدارسها عبر الخطوات الثلاث الآتية:

١. «**البيان العام**»، أي تلاوة آيات الدرس، ثم تفسيرها[2] بمنهج التلخيص والتيسير.

٢. «**الهدى المنهاجي**»، بمعنى عرض بعضاً مما احتوته الآيات من «رسالات»، بحيث تشكل كل رسالة مسلكا خلقيا في البناء العقدي أو التعبدي أوفي التصرفات.

٣. «**مسلك التخلق**»، هدفها تحويل الرسالات النظرية إلى تطبيق عملي، بحيث نضع للمتحلق طريقا عمليا واضحا وخطوات في إصلاح ذاته ومجتمعه (وكأن خطوة الهدى المنهاجي لتلقي الرسالات، بينما خطوة مسلك التخلق لتلقينها وبيان طريق أدائها).

عند انتهاء السورة، يوجد مجلس ختامي يعرض أهم الحقائق والأهداف في تربية النفس.

---

(١) مجالس القرآن، الأنصاري، ١/١٠١-١٠٥. وينظر العلامة فريد الأنصاري الرجل والمشروع، المقرئ الإدريسي، ص٢٢١، حيث قال عن تفصيل تلك المنهجية للمجلس القرآني أنها بمثابة نظريته التفسيرية -واعتبر "رسائل البيان العام" خطوة بحالها، قبل خطوة الهدى المنهاجي.

(٢) وإن لم يسمِّه فريد الأنصاري تفسيراً، إذ لم يعتبر عمله تفسيراً بالمعنى الدقيق. ينظر: جريدة المحجة، العدد ٣٣٠-٣٣١، يناير ٢٠١٠م، ص٥٥.

تأسيس المجالس على أصول لا بد من مراعاتها:

لا بد من وضع ضوابط للحفاظ على السير السليم للمجالس.

من أهمها: **تذكير الجلساء** أن تلقي كلمات الله من القرآن لا يتم إلا بالصبر – أخذ الكتاب بقوة– والإخلاص(١).

ومنها: الاتفاق على الموعد المكاني والزماني والالتزام بهما.

ومنها: انضباط المجلس بمُسَيِّس أو مؤطر.

ومنها: تكوين مجموعة متناسقة بين الأعضاء، حتى يخاطب الناس على قدر عقولهم.

ومن أهمها: قاعدة أن مجالس القرآن وتدارس القرآن آية آية إنما يترجَم بالنظر في الشمائل المحمدية إذ فيها القرآن كله مطبقاً والإسلام كله حياً متحركاً (٢).

١.٣ محاورات في منهجية التدارس مع غير الناطقين بالعربية:

نظرَ فريد الأنصاري لمجالس القرآن على أنها محضن تربوي للعود إلى الدين والفطرة ومنه سعى إلى إنشاء مجالس للقرآن على نطاق عام . ودعا إلى أن تكون على جميع الأصعدة. لكل أفراد المجتمع ولجميع الأسر. يقول في صدد ذلك: «مشروع "مجالس القرآن" مدرسة شعبية لنشر ثقافة القرآن، وبناء أخلاق القرآن، ودعوة لتداول القرآن في السلوك الفردي والاجتماعي، من خلال الإقبال العام الشعبي على تعلم القرآن، وتدارس القرآن، وفتح "صالونات القرآن" داخل الأسر، وبين الأصحاب، لتقديم كؤوس الذكر للأهل والأحباب والأقارب والجيران ولا أحلى ولا ألذ من موائد القرآن، ومجالس التدارس الميسّر لسوره وآياته بين يدي الرحمن»(٣). ولعل تلك النظرة الشمولية

(١) مجالس القرآن، ص١٠٤، ص٩٢-٩٤.

(٢) بلاغ الرسالة القرآنية، الأنصاري، ص١٦٠. وقال في مجالس القرآن، ٢٤/١، بأن السنة في كل تجلياتها النبوية لم تكن إلا تفسيراً للقرآن العظيم وأنه ينبغي ربط السنة بالكتاب ضرورة.

(٣) مجالس القرآن، الأنصاري، ص٤٩.

تلقي ببعض التساؤلات حول استعمال المنهجية مع غير الناطقين بالعربية، سيتم محاورتها في هذا المبحث الثالث والأخير.

اعتراض على تيسير وفتح عملية تدبر القرآن:

الإشكالية تتمحور في فتح الباب على كل من هب ودب ليقول في كتاب الله ما ليس منه. ومعلوم أن القرآن حمّال أوجه وأن النص القرآني يحتمل تأويلات مختلفة. وهذا خطير إذ يمس بالشريعة، بل ويعيد تشكيل الصبغة الدينية كلها. وقد انتقد الأنصاري من عكسوا القضية فساروا "من العمران إلى القرآن"، بحثاً عن الاستشهاد من القرآن على تصورات ومعارف مسبقة. فلتجنب هذه المسارات المغلوطة، **نبرز النقاط الخمس الآتية.**

أولاً: الهدف من المجالس ليس التفسير. بل الهدف الاستجابة لهذه الدعوة الإلهية للبشر، وتطبيق الرسالة رب العالمين. يقول فريد الأنصاري في حثه على تدبر القرآن لجميع: «ولا حرج لأن التدبر لكتاب الله لا ينبني عليه حلال ولا حرام، ولا تصدر عنه فتوى ولا قضاء! وإنما هو مسلك روحي يقود القلب إلى التوبة والإنابة، وإلى مجاهدة النفس من أجل الترقي بمراتب العلم بالله! أما صناعة التفسير والاستنباط فهذا هو الذي يخص فئة محصورة من الناس»[1]، إلى آخر ما فصّل. ويقول عن مجالس القرآن أنه «مشروع دعوي تربوي بسيط، سهل التنفيذ والتطبيق، سلس الانتشار، غايته تجديد الدين وإعادة بناء مفاهيمه في النفس وفي المجتمع»[2] بعيداً عن كل تعقيد.

وبذلك نحقق الغاية من الرسالة الخاتمة. فالقرآن نزل للناس أجمعين، كما في أول الفرقان: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١]. ونقرأ آيات تنادي على الملأ أن قوموا إلى القرآن، في آخر سورة

(١) هذه رسالات القرآن، الأنصاري، ص٧٧.

(٢) مجالس القرآن، الأنصاري، ١/٥٠.

النساء مثلاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٤-١٧٥]

وفي يونس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٨]. نقرأ كذلك في سورة الإسراء: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء:٨٩].

فلكل أن يقرأ واقعه على نور الهدى القرآني.

ثانياً: لا بد من الاعتماد في المجالس على تفسير العلماء المختصين المشار إليهم وعلماء الشريعة المحتفى بهم. وقد عمل العلماء على تيسير التفسير(١) حتى يتفهمه المسلمون عامة. وبه المنطلق للتدارس.

ثالثاً: من ضوابط المجلس وضع مُسَيِّس مسؤول.

رابعاً: الشريعة تتميّز باليسر، وفهم معظم القرآن الكريم متاح وميسور(٢).

ومع ذلك، لا بد من مراعاة حال المستفيد.

فلا يوقع العالم في الشريعة معلومات لا يستسيغه العامي (غير العالم في الشريعة). فلكل مقام مقال ولكل حادث حديث.

خامساً: وأخيراً، المأمول من نية الإخوة المجتمعين أن تكون خيرة خيّرة.

وبما أن عملهم محمود شرعاً، بالضوابط والتأصيل السابق، فالعمل والمنتوج صالح. ثم إن عرض للمجلس فهمٌ شُك في صلوحه، فالواجب الوقوف عند حد العلم وسؤال أهل الذكر.

---

(١) وكان فريد الأنصاري ينصح بمختصر ابن كثير أو الجلالين.

(٢) الفطرية، الأنصاري، ص١٥٥-١٥٧. مع بيانه لمصطلح «الأمية» عند الشاطبي، وكيف أن الشريعة سهلة بسيطة ميسرة في الفهم والتكليف.

كيفية تفعيل المجالس في الشعوب غير العربية. ما خصوصياتها؟

الإشكالية هي أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، وأن الترجمة تحوم حول المعاني ولكن لا تفي بمخزون الآية المعجزة. فكيف يتم التدارس للعجم؟

أولا، كما ذكر في النقطة الأولى من هذا الفصل، القرآن يخاطب كل إنسان. من نصوص الكتاب غير ما ذكر آيتان تأمران بالتدبر، متوجهتان إلى الكفار. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ويقول عز من قائل: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد صلى الله عليه وسلم: ٢٤]. وتوجد مجموعة من الأمثلة عن غير عرب وغير مسلمين اهتدوا بالقرآن في لغاتهم عبر الترجمة(١).

ومع ذلك، تبقى اللغة العربية في غاية الأهمية. ولا يصلح للتفهيم إلا من يحسنها، مع علمٍ بلغة المخاطبين. ولفريد الأنصاري كلام في هذا الصدد آثرنا نقله كاملاً، ومنه نستنتج وسطية فيما يلزم به المتدبر، فمن ناحية لا بد لغير الناطق بالعربية من الرجوع إلى أهل اللسان العربي حتى يتسنى له فهم الخطاب الإلهي على أصوله. ثم هو من ناحية أخرى كغيره في الورود للنبع بمدركاته وفهومه: «إن نداء الدعوة بالقرآن هو نداء عام لكل مسلم ومسلمة، بمعنى أنه لا يلزم أن يكون الداعية به، أو المنخرط في مدرسته، والعاقد لمجالسه، والمكابد لتكاليفه، من أهل العلم المتخصصين به! رغم أن حضور العلماء في الإشراف على مسيرته الدعوية ضرورة شرعية! [أي على مسيرة المسلم الداعي بالقرآن] بل يجوز أن يكون الداعية المنخرط في مدرسة القرآن، مختصا بعلم آخر (...)

(١) من بينهم على سبيل المثال: صهيب وب (ويليام)، عبد الرحمن ديفيد (القس جولد)، سهيل زاباتا (أدريان). وينظر برنامج بالقرآن اهتديت، فهد الكندري، حيث سلط الضوء على من كتب الله لهم الهداية بسبب آيات من القرآن سمعوها أو قرؤوها فشرح الله صدورهم للإسلام والايمان. وقد تم تصوير هذا البرنامج في عدة مدن أوروبية (إنتاج شركة فورفريم للخدمات الإعلامية).

فيكفي أن يحوز على رصيد من اللغة العربية، يكفيه لفهم خطاب القرآن على الإجمال. وله –بعد ذلك– في كتب التفسير، وفي إرشاد أهل العلم، ما يسدد خطوه في التدرج بمنازل القرآن، والترقي بمعارجه الإيمانية، حتى يكون من المهرة به، تلاوة وتعبدا وبلاغا! قال رب الرحمة –جل ثناؤه–: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠].

وإنما كان المخاطبون بهذا القرآن في البدء قوماً أميين، لا يكتبون ولا يقرؤون! ولا معرفة لهم حتى بمبادئ العلوم بلهَ تخصصاتها المعقدة! وإنما كانوا على فطرة صافية من اللسان العربي، تلقوا بها كلمات الله، فجعلت منهم خير أمة أخرجت للناس! وتلك خاصية هذا القرآن العظيم، وهي مستمرة إلى يوم الدين! قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢]»[(١)].

ويمكن وضع بالتوازي أمر الله بالتفكر في الكتاب المنظور وأمره سبحانه بالتفكر في الكتاب المسطور. فكل إنسان مأمور بالنظر في المخلوقات ليصل به إلى الإيمان بالخالق. وهو تفكر يستطيعه كل أحد، سواء كان متخصصاً في الكونيات أو لا. فكل يدلو بدلوه. وكذلك الأمر بتدارس القرآن، إن فسرت الكلمات وترجمت، يستطيع غير الناطق بالعربية أن يتدبر ويسلك في رسالات الهدى اتعاظاً واعتباراً[(٢)].

كيف نتحقق من ترجمة المعارف إلى أخلاق ومقامات؟

الإشكالية في كيفية التأكد من اجتهاد أهل المجلس في التخلق وتحويل ما عُلم إلى مقامات، وليس إلى أحوالٍ عابرة أو إلى تمنّيات.

(١) هذه رسالات القرآن، الأنصاري، ص٤٤–٤٥.

(٢) نفس المصدر، ص ٨٠.

وللجواب، هدف المجالس هو التدارس والسلوك التربوي الأخلاقي.

وللتوصل إلى هذه المراحل، يتم وضع ضوابط منها البحث عن مجموعة متناسقة، تقسيم السورة إلى مجموعة آيات ودروس (ما أسماه الأنصاري "كلمات الابتلاء") وتحفيز المستفيد على الاستعداد للدرس، وضع مسالك واضحة للتربية (مثل استعمال طريقة smart في كتابة الأهداف المحددة، التي يمكن قياسها، المتفق عليها، الممكنة والمحدد زمنياً).

ومع هذا فالرغبة في التغيير والجدية في العمل مفتاحها عند المستفيد، ولا يملك المؤطر المسؤول إلا الوعظ والتعليم. أي بدون متابعة في التطبيق والبحث عن الخصوصيات حتى لا يتحول المجلس إلى نوع آخر من التجمعات مع الوساطة بين المريد ومسؤول الجلسة.

الفصل الثاني: تطبيق المنهجية في مجالس تدارس سورة الفاتحة باللغة الفرنسية (الجانب التطبيقي)

ينتقل البحث هنا إلى بيان نتائج تطبيق منهجية التدارس، وذلك على ثلاث مباحث: عرض ما تم تقديمه خلال التطبيق، عرض نتائج التدارس على الجلساء من خلال مقابلة تمت مع خمسة منهم، وتحليل تلك النتائج.

٢.١ بيان ما تم تقديمه:

تم إعداد سبع حلقات لتدريس سورة الفاتحة عن بُعد[١]، باللغة الفرنسية، للكبار، رجالاً ونساءً. وذلك على مستويين من التدريس والتدارس:

	مرحلة التدريس	مجلس التدارس
١	تعريف وتقديم لسورة الفاتحة (أسماؤها، فضلها، تنزيلها، شخصيتها، مقاصدها)	محاضرة تفاعلية عن مفهوم مجالس القرآن وضوابط التدارس
٢	شرح معاني كلمات الفاتحة	
٣	الاستعاذة	هدايات التخلق من الاستعاذة
٤	شرح البسملة والآيات ١ إلى ٣	كلمات الابتلاء في البسملة والآيات الثلاثة الأولى من الفاتحة
٥	الآية الرابعة	كلمات الابتلاء في الآية المحورية من الفاتحة
٦	الآيات ٥ إلى ٧ والتأمين. تسليم الامتحان التحريري.	كلمات الابتلاء في الآيات الثلاثة الأخيرة من الفاتحة
٧	تصحيح الامتحان وقراءة ما عرضه الطلبة من تدبر	فتح مجال الحوار وتعليقات الجلساء

(١) باستعمال برنامج زوم، على مدى سبعة أسابيع، من ٢٠٢٣/١١/٢٦م إلى ٢٠٢٤/١/٧م. بحيث نلتقي صباح الأحد لمدة ساعتين لمرحلة التدريس، وبالتبع يأتي مجلس التدارس.

الذي يهم البحثَ هو ما تضمنته الدورةُ من مجالس لتدارس الفاتحة، وتقسم إلى أربعة أقسام.

١. أول المجالس كان عرضاً لمنهج التدارس مع تفصيل الضوابط العشرين التي ذكرها فريد الأنصاري. والغرض أن يكون الجلساء على بينة من أهداف المجلس حتى يجدوا في تحقيقها.

٢. خلال المجلس الثاني، تحلق الجلساء حول هدايات التخلق من الاستعاذة دون حضوري، أي أنني درّستُ المادةَ وشرحت مفاهيمَ عن الاستعاذة، وكتبت لهم مجموعة من الأسئلة لتنظيم المجلس، ثم تركتهم يتحلقون فيما بينهم ويطبقوا الضوابط التي درسناها.

٣. أما المجالس الثالثة والرابعة والخامسة فكانت في صميم ما يهمنا في البحث: التحلق حول هدايات سورة الفاتحة، من البسملة إلى آخرها. وإدارة المجلس كانت بتنظيم جماعي مع الجلساء[١].

٤. تلت تلك المجالس مجلسا للحوار الجماعي حول ما تم، والاتفاق على موعد مع كل من خمسة جلساء لمقابلة فردية[٢]،

مدتها ٣٠-٤٥ دقيقة. كان من بينهم رجلان وثلاث نسوة، في عمر ما بين ٢٥-٥٠ سنة. اثنان يقطنان بفرنسا والبقية بمحافظة كيبك بكندا. واحد منهم يفهم اللغة العربية، وآخر يفهمها بشيء من الصعوبة، والبقية غير ناطقين بها. وسوف يتم عرض نتائج تلك المقابلات في المبحث الآتي.

---

(١) أهم الأدوار التي تم ترتيبها: المنشط للمجلس (افتتاح المجلس والتقديم، توزيع الكلام، ضبط الوقت، الختام)، المسؤول عن البيان العام (شرح الآيات إجمالاً) والمسؤول عن صياغة مسالك التخلق وإرسالها على المجموعة.

(٢) تم اختيارهم على أساس حضورهم الاختياري لكامل الدورة، تدريساً ومجلساً.

٢.٢ عرض نتائج تدارس سورة الفاتحة بالفرنسية من خلال مقابلة خمسة جلساء:

عرض النتائج سيكون باعتبارات ثلاث: باعتبار ما تم خلال المجلس، باعتبار الفهم وباعتبار التخلق والتزكية.

أولاً: أثناء المجلس: التفاعل بين الجلساء بآداب القرآن:

جميع الجلساء الذين تم اللقاء بهم أكدوا على أهمية الاحترام المتبادل بين جميع الأفراد. تقول أحدهم أن «من خلال الأخلاق الفاضلة المتبادلة انفتحت قلبا وعقلا». ويقول أحدهم أن الاحترام «مكنني من تخطي عقَبة الخوف من الخطأ وبالتالي الجرأة على إبداء أفكاري». وأكدوا كذلك على دور المؤطر في الاستماع لكل رأي بتقدير ودون تقطيع، وتوجيهه إلى الصواب إن لزم باحترام. يقول أحدهم: «كان المؤطر يستنتج مما نقوله معاني أخرى ويربطها بالدين، فأنشط لإبداء آرائي». وذكروا أهمية أن يكون كل من الجلساء مرتاحاً ويشارك بأريحية، فمثلا كان فتح القمرة (كاميرا الويب) بالاختيار، ففضل بعضهم الاكتفاء بالمشاركة بالكلام، والبعض الآخر ارتاح للمشاركة بالصوت والصورة.

وزادوا أن المجموعة الصغيرة تعين على التفاعل الجيد (حيث كان عدد الجلساء يتراوح بين ٦ إلى ١٠). أما عن كون اللقاء جامعاً بين الإخوة والأخوات فالالتزام الشرعي والنضج، مع السعي لتدبر كلام الله، جعل المجلس يثمر بتبادل الأفكار من زوايا مختلفة. يقول أحدهم: «كان لكل منا مخزونا علميا وثقافيا، وتبادلناه من غير أن يؤثر جنس الجليس بشكل من الأشكال».

من ناحية أخرى ذكروا أهمية المشاركة الفعالة، سواء بالاستعداد الجيد، أو الاستماع بانتباه، أو بالكتابة وإعادة سماع الدرس (حيث كان يسجَّل الدرس والمجلس). يقول أحدهم: «إن استعدادي للدرس ضاعف مشاركتي». وتحكي

أحداهن أنها توهمت في بادئ الأمر أن الدرس والمجلس سيكون على شكل محاضرة، ولكن سرعان ما تنبهت إلى ضرورة المشاركة والاستعداد للجواب، كما هو طبيعة التدارس والتفاعل عبر المجلس.

ثانياً: المفاهيم الصحيحة: التربة اللازمة للبناء الأخلاقي:

ذكر الجلساء فائدة الأسئلة المطروحة، لتأكيد الفهم أولاً: (كان يتم على شكل مجموعة اختبارات وطرح أسئلة مباشرة للمعلومات)،

ولتأكيد التفكر والتدبر ثانياً،

(وكان يتم ذلك بطرح أسئلة يجيب الجلساء عليها خلال الأسبوع ويشاركون أجوبتهم على المجموعة). يقول أحدهم: «إجراء الامتحانات عبر برنامج سوكراتيف كان مفيداً جداً لتثبيت المعلومة». وينبه آخر على أهمية التعامل بخلق المربي عند طرح الأسئلة «بحيث لم يحرج أحدنا، وكنت تعطي الفرصة للبحث عن المسألة إلى اللقاء القادم أو تطلب من الجلساء التعاون في الإجابة».

واستعمال الوسائل لتوصيل المعلومات ساعد الجلساء، مثل ما جاء من تمثيل النبي محمد صلى الله عليه وسلم للصراط ورسْمه أثناء حصة الدرس. تقول إحداهن: «ظلّت صورة الصراط وما يحيطها في بالي، تتمثل أمامي لما أقرأ آية ﴿اهدنا الصرٰط المستقيم﴾». أو تمثيل النبي محمد صلى الله عليه وسلم للرحمة الإلهية بمشهد الأم ورضيعها.

اتفقت المجموعة على محورية فهم كلمات القرآن بعمق، وكيف أن ذلك «يعطي نوعية مختلفة بالكلية عن الترجمة أو التفسير العابر، الذي لا يقف مع كل كلمة ليشرح مضمونها»، ومثّل أحدهم بازدياد فهمه لكلمة الهداية شاملة التلطف[1]، وكيف أثر ذلك الملحظ اللغوي في فهمه عن الله تبارك وتعالى.

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور.

تقول أحدهم: «معرفة أصول الكلمات أتاح لي فهم آيات من القرآن والتأمل فيها (...) وكنت أجد نفسي أقف عند قراءة حزبي في مواطن لم أقف عليها من قبل». في نفس النسق يقول آخر: «بدأت ألاحظ جذع الكلمة التي درسناها في مواطن من القرآن ويزداد رصيد المفردات العربية لديّ». وذكر كلٌّ منهم ما تعلَّمه، مثل معنى الاختصاص من الآية الرابعة، ومفاهيم الاستعاذة، وتعداد الأسماء الحسنى المشعة في سورة الفاتحة.

اهتم الجلساء بالتعلم من بعضهم البعض. يقول أحدهم: «ما ذكره أخي في أهمية القرآن والزاوية التي طرح الموضوع من خلاله، لم أكن قد تفكرت بهذه الطريقة من قبل». وتقول أخرى: «أتذكر ما قالته فلانة عن أهمية جلسة المصارحة مع النفس، أمام المرآة، وبدأت أطبقه».ذكر أحدهم أنه بانتهاء الدورة، دروسا ومجالسا: «أصبحتُ الآن مستعداً لتدريس الفاتحة». وكان نصيب أحد الجلساء أن يعد مجلساً يضم بعض الإخوة ليتدارسوا السورة. وإحدى الأخوات شاركت ما تعلَّمتْه في حلقات تحضرها. وأخرى تهتم بتدريس ابنتها الصغيرة مما تعلمته.

ثالثاً: بعد التحلق: التخلق والتحقق:

جميع الجلساء ذكروا أن للمجلس دور في بنائهم الأخلاقي، وأن المجلس «يعيننا على السير في خطى الإصلاح النفسي»، كما ذكر واحد منهم. يقول أحدهم: «أثّر ما تدارسناه في معاني وتوجيهات الحمد في حياتي الزوجية، حيث بدأتُ أحمدُ اللهَ على أن أكرمني بزوجة لها صفات لم أكن ألاحظها قبلُ». ويقول أحدهم: «الكلام عن الآخرة ويوم الدين جعلني أبدأ في تصفية حساباتي والنظر في أعمالي كل ليلة». وينبه آخر على تأثير صدى اسم الرحمن الرحيم «الذي جعلني أستشعر تلك الرعاية ودفعني دفعا إلى التقدم في الحياة». ذكر مجموعة من الجلساء أهمية الاستمرارية في الدرس، بحيث«يجعل الواحد منا

يركز كل أسبوع على مقطع من القرآن، ثم يأخذ بغيره، فنكوّن عادةً». وتقول أحدهم: «أصبحت أشعر بأن القرآن رسالة من الله موجهة إلي، وكل مجلس يشكل فرصةً لتذوق المزيد من الوحي».

٢.٣ تحليل أهم نتائج التدارس:

أهم ما يمكن استنتاجه وتحليله من تلك المقابلات على ثلاث مستويات.

أولاً: لتسيير المجلس ولتيسير الفهم:

يقوم على عاتق المسير مسؤولية كبيرة. من ناحية التسيير، عليه أن يبث الروح الطيبة بين الجلساء ويسعى في أن يكون الأسوة الحسنة (الاستماع بتقدير، التشجيع، ضبط المادة). ومن ناحية توصيل المادة عليه أن يكوّن مصداقية وأن يكون محل ثقة ومثالاً حياً أمام الجلساء (النقل الصحيح، ذكر العلماء، العلم بتفصيل وعمق)[١].

من الضوابط المهمة في تشكيل المجلس التجانس والتقارب في الصفات مما يعين على التواصل وتحقيق الغرض من المجلس (التدارس، التزكية).

لا بد من الفهم الصحيح قبل البدء في استخراج العظات. ينبغي العناية بجانبي التنظير والتطبيق (رسالات الهدى ومسالك التخلق). بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، وبحيث تعطى الأولوية للفهم. وبذلك يكمن على المدرِّس مسؤوليةَ البحث والقراءة، ثم عرض المادة بمنهجية، على أصول التدريس، واستخدام الوسائل المساعدة بحرفية (خاصة ما يتعلق بالتدريس عن بعد، والذي يشكل عقبات محددة)، وقد ذكر أن مرحلة التدريس استغرق ثلثي المدة

(١) وقد تم الاعتماد في نقل المادة العلمية من مصادر أهمها ما يلي: «التحرير والتنوير» للطاهر بن عاشور، «مجالس القرآن» لفريد الأنصاري، «نظرات في الهدى المنهاجي في القرآن الكريم» للشاهد البوشيخي، «حول تفسير سورة الفاتحة» لعبد الله سراج الدين، «المحرر الوجيز» لابن عطية، «مدارك التنزيل» للنسفي، «البلابل الصادحة على أغصان سورة الفاتحة» لعبد الله باشعيب، شرح سورة الفاتحة لهاني رمضان (بالفرنسية: commentaire de la sourate al-Fatiha).

المخصصة للحلقة. وملاحظة أحد الجلساء أنه حضر مجلسا لتدارس الفاتحة لم يتعمق –ذاك المجلس– في معاني المفردات، لم تعطِه استقلالية في التدريس، يفيدنا أن استيعاب معاني الكلمات أمر يجب تنبيه الجليس عليه وتذكيرهم بمسؤوليتهم أمام حفظ المفردات. وعلى عاتق المسير أن يتيح للجلساء مصادر للفهم المراجعة (كتاب يلخص المادة[1]، تسجيل الدرس، الإرشاد إلى قراءة وسماع علماء). خاصة وأن المصادر الفرنسية قليلة واستعمال برامج الترجمة لا يستوثق منها إلا بتدقيقٍ من عالم. وعلى المسير أن يجهز الأسئلة مسبقا وينظر فيما سيطرحه خلال الدرس وما سيطرحه قبل الدرس حتى يستعد الجلساء وتتفتق أذهانهم. وطرح الأسئلة يكون باحترام وبغرض التقدم المعرفي، فلا حرج إن أخطأ المسؤول أو لم يحر جواباً.

ثانياً: العوامل التربوية والمسلك في التخلق:

الهدف من المجلس هو البناء الأخلاقي والقيمي. والذي يعين على ذلك دفع الجليس على استمرارية النظر والتأمل في الآيات. يحقق ذلك طرح أسئلة موجهة للتعمق في التدبر، أو وضع هدف محدد على الجلساء التقدم نحوه والمحافظة عليه (وكان يتم بعد كل لقاء عرض مسالك للتخلق ونشرها على المجموعة).ومما يكمل هدف المجلس ويحفز على الفهم والمراجعة التدريس للغير. رأينا كيف كان للجلساء مجالس أخرى يعظون بما تعلموه من سورة الفاتحة.

ومما يؤثر كذلك في الفهم والتخلق تسليم المهام للأفراد، حتى يشارك الكل في إنجاح المجلس وأهدافه. فقد تبين للمشاركين أن تحمل المسؤولية يتطلب جهدا مضاعفا، فوق الحضور والمشاركة. وكان لذلك الجهد أثره الإيجابي.

---

(١) وقد جمعتُ المادة للجلساء في كتيبا عرضَ أسماء سورة الفاتحة، ومعاني الاستعاذة والبسملة، ومفردات السورة. يمكن الاطلاع عليه عبر الرابط التالي (بالفرنسية):
https://read.bookcreator.com/rIIaBJAMCcPkKS6FE8vuAafF2sw1/CEXYUZi.ZTmqJG__jvn0nNQ

ثالثاً: من الأفكار التي يمكن تطبيقها لتكملة المسير وتحسين الأداء في المجلس:

مما يكمل أغراض المجلس التأكد من حسن التلاوة والتجويد، مع إتمام حفظ ما تم التحلق حوله. ويمكن أن يتم ذلك باجتماع الجلساء في وقت يحددونه، مع عالم يصحح. كذلك، مما يكمل الغرض جمع المادة من البيان العام (شرح الآيات) ورسالات الهدى ومسالك التخلق في كتيب.

ويمكن أن يحدد لذلك وقتاً بعد الانتهاء من السورة، أو مقطع منها، بحيث يتفرغ فيه المؤطر للكتابة ولإعادة صياغة المفاهيم والدروس. وللجلساء أن يتعاونوا على القراءة وإبداء ملاحظاتهم حتى يتم العمل ويبقى دليلاً لهم ولمن بعدهم. ومما يكمل الغرض أيضا حمل مسؤولية قراءة كتاب في التفسير على كل جليس، بحيث تتم مشاركة الجميع على ضوء ما قرؤوا والاستفادة من عدة مصادر.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فقد توصل البحث إلى نتائج من أهمها ما يلي:

١-تدارس القرآن منهج رباني نبوي، حيث أوضحه الله في أربع مواضع من كتابه وحيث طبقه النبي محمد صلى الله عليه وسلم بين أصحابه للنهضة بهم وبالأمة.

٢-تطبيق منهج تدارس القرآن كفيل بالنهضة بالأفراد والمجتمع إن تم على أصول وضوابط. والخطوات التي كانت وظيفة النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم هي وظائفنا الآن كأُمة مرسلة للعالمين.

٣-يمكن نشر المجالس بين المسلمين العرب والعجم. إلا أن ضبط اللسان العربي لمن يتكفل بتأطير المجلس أمر حتمي. وله بعد ذلك أن يفهم المخاطبين بلهجتهم ولغتهم.

٤-مجالس القرآن يراد له الانتشار، من غير تعقيدات التنظيم أو التخصص العلمي، بل هي حركة شعبية سلسة الانتشار بين أفراد الأسر والمجتمع لالتفاف حول رسالة الله آية آية، والمجاهدة والمكابدة عليها حتى تكون رسالة الله حية بين أظهرنا.

٥-لا يتم منهاج التدارس إلا بالاعتماد على السنة النبوية وقراءة الشمائل المحمدية.

٦-للمجالس ضوابط كفيلة برعاية حدود الله وحدود فهم شرعه في العقيدة والعبادة والأخلاق. من أهمها الاعتماد على العلماء الراسخين لفهم القرآن.

٧-تقوم المجالس على مفاتح أولها: التلقي وتنزيل الوحي على قلب السامع. ثانيها: الفهم والتدبر للمعاني. وثالثها: سلوك التخلق بمنهج التدارس.

٨-لا بد لأصحاب المجلس من التعاقد على التحلق والتخلق ليتم التحقق.

وفي الختام، ندعو الله أن يجعل لنا من مشروع فريد الأنصاري رحمه الله في مجالس القرآن نصيباً في بناء أنفسنا بناء ربانيا، لنكون «مادة الاستمرار الحضاري للأمة وعمودها الفقري، والذين ذكرهم الله جل وعلا في قوله: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].»[١]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) الفطرية، الأنصاري، ص١٥٢.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

كتب السنة المطهرة.

١. أبجديات البحث في العلوم الشرعية، فريد الأنصاري. دار السلام. ط٢ ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٢. أبو أيوب الأنصاري في رحلة العمر، عبد الحميد الأنصاري. مجلة المحجة العدد ٣٣٠-٣٣١. محرم ١٤٣١هـ/٢٠١٠م. ص٢٢-٢٣.

٣. بلاغ الرسالة القرآنية من أجل إبصار لآيات الطريق، فريد الأنصاري.

٤. سلسلة: من القرآن إلى العمران (٢). دار السلام. ط٦ ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.

٥. البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي: نحو بيان قرآني للدعوة الإسلامية، فريد الأنصاري. سلسلة: من القرآن إلى العمران (١). دار السلام. ط١ ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٦. التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، فريد الأنصاري. سلسلة: من القرآن إلى العمران (٧). دار السلام. ط١ ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٧. جهود الدكتور فريد الأنصاري في تجديد الفكر الاسلامي المعاصر، سعد عي. أطروحة دكتوراة. تخصص دعوة وثقافة إسلامية. Universty of Eloued جامعة الشهيد حمه لخضر. ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م.

٨. الفطرية بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام، فريد الأنصاري. دار السلام. ط٣ ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.

٩. فقه الإصلاح. قراءة في التجربة الإصلاحية للعلامة فريد الأنصاري رحمه الله تعالى. أعمال الندوة العلمية الدولية بمناسبة الذكرى العاشرة لوفاة العلامة فريد الأنصاري رحمه الله تعالى. مطبعة الأمنية. ط١ ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م.

١٠. مجالس القرآن مدارسات في رسالات الهدى المنهاجي للقرآن الكريم من التلقي إلى البلاغ، فريد الأنصاري. دار السلام. ط١ ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
١١. مجلة المحجة في عددها الخاص بالدكتور فريد الأنصاري. العدد ٣٣٠-٣٣١. محرم ١٤٣١هـ/يناير ٢٠١٠م.
١٢. المصطلح الأصولي عند الشاطبي، فريد الأنصاري. معهد الدراسات المصطلحية والمعهد العالمي للفكر الإسلامي. ط١ ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
١٣. مفهوم العالِمية من الكتاب إلى الربانية، فريد الأنصاري. سلسلة: من القرآن إلى العمران (٣). دار السلام. ط١ ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
١٤. نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، عبد الحي الكتاني. تحقيق عبد الله الخالدي. دار الأرقم، ط٢.
١٥. هذه رسالات القرآن فمن يتلقاها؟!، فريد الأنصاري. سلسلة: من القرآن إلى العمران (٥). إعداد وتقديم عبد الناصر المقري. دار السلام. ط٨ ١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م.